

السؤال

أشرحوا لنا أنواع وكيفية الحساب في القبر ويوم القيامة ، فتارة نقرأ في الحديث الشريف أنه من نوقش الحساب عذب ، وأن المؤمن لا يرى إلا عرض الحساب ، وفي القرآن الكريم نقرأ أن كل شيء من عمل الأنسان سيراه ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر ، أي ولو شربة ماء سيعد من النعيم ، ويحاسب عليها ، بغض النظر أكان مؤمنا أو كافرا والعياذ بالله نرجوا تفسيراً لذلك .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

عذاب القبر ونعيمه ثابت بالنص والإجماع ، والأصل أن العذاب والنعيم في القبر يكون على الروح ، وقد تتصل الروح بالبدن فيصيبه شيء من العذاب أو النعيم .

راجع إجابة السؤال رقم (47055) ورقم (8829) ورقم (21212) .

وأما الحساب : فليس هناك في القبر حساب ، إنما هو عذاب على بعض ما عمل ، أو نعيم في القبر لمن كان من أهل الخير ، وأما الحساب فإنه يكون في موقف القيامة .

ثانياً :

الأصل أن يحاسب الناس كلهم في موقف القيامة ، إلا صنفاً من الناس ، يتفضل الله عليهم ، فيدخلهم الجنة من غير سبق حساب ، ولا عذاب ، كما سبق في جواب السؤال رقم (4203).

روى الترمذي (3357) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ أَيِّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ فَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ وَالْعَدُوُّ حَاضِرٌ وَسُيُوفُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا ؟ (قَالَ إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ) حسنه الألباني في " صحيح الترمذي " .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية :

"أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته " انتهى من "تفسير ابن كثير" (8 / 474) .

وروى الترمذي (2417) وصححه عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَزُولُ

قَدَمَا عَبْدُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ) .

صححه الألباني في " صحيح الترمذي " .

قال ابن القيم رحمه الله :

" قال قتادة : " إن الله سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه .

والنعيم المسئول عنه نوعان : نوع أخذ من حله وصرف في حقه فيسأل عن شكره ونوع يأخذ بغير حله وصرف في غير حقه فيسأل عن مستخرجه ومصرفه " انتهى من "إغاثة اللهفان" (1/ 84) .

وقال أيضا :

" كل أحد يسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سئل سؤالا آخر هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعته أم لا ؟ فالأول سؤال عن سبب استخراجه والثاني عن محل صرفه " انتهى من "عدة الصابرين" (ص 157) .

ثالثا :

الحساب يوم القيامة نوعان :

النوع الأول :

حساب عرض ، وهذا يخص المؤمن ، يُسأل عن عمله وعلمه ونعمة الله التي من بها عليه ، فيجيب بما يشرح صدره ويثبت حجته ويديم نعمة الله عليه .

وإذا عرضت عليه ذنوبه أقر بها فيسترها الله عليه ويتجاوز عنه .

فهذا لا يناقش الحساب ولا يدقق عليه ولا يحقق معه ، ويأخذ كتابه بيمينه ، وينقلب إلى أهله في الجنة مسرورا ؛ لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب .

روى البخاري (6536) ومسلم (2876) عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ) قَالَتْ قُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) ؟ قَالَ (ذَلِكَ الْعَرَضُ) .

قال الحافظ رحمه الله : " قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : مَعْنَى قَوْلِهِ " إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ " أَنَّ الْحِسَابَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي سِتْرِهَا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي عَفْوِهَا فِي الْآخِرَةِ " انتهى .

وروى أحمد (24988) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْحِسَابِ الْيَسِيرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ ؟ فَقَالَ : (الرَّجُلُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهَا إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ) . صححه الألباني في "ظلال الجنة" (2/128) .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" المؤمن يحاسب ولكنه ليس بحساب مناقشة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من نوقش الحساب هلك - أو قال- عذب) لكنه حساب عرض " انتهى من "اللقاء الشهري" (1/ 378) .

وقد روى البخاري (2441) ومسلم (2768) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ . حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ . فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)

النوع الثاني :

حساب مناقشة ، وهذا حساب الله للكفار ، ومن شاء من عصاة الموحدين ، وقد يطول حسابهم ويعسر بحسب كثرة ذنوبهم . وهؤلاء العصاة من الموحدين يدخل الله منهم النار من شاء إلى أمد ، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة إلى أبد .

روى مسلم (2968) عن أبي هريرة قال : " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : (هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ) ؟ قَالُوا لَا قَالَ : (فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ) ؟ قَالُوا لَا قَالَ : (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا) ، قَالَ (فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأَزْوَجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ أَفْظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ : لَا فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأَزْوَجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ : بَلَى أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ أَفْظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ لَا فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَبُنَيْتُ بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ هَاهُنَا إِذَا قَالَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَتَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ فَخَذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مَنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ) .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

" اختلف العلماء رحمهم الله في قوله: (لتسألن يومئذ عن النعيم) هل المراد الكافر، أو المراد المؤمن والكافر؟ والصواب: أن المراد به المؤمن والكافر، كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع ، والمؤمن يسأل سؤال تذكير... سؤال المؤمن سؤال تذكير بنعمة الله عز وجل عليه ، حتى يفرح ويعلم أن الذي أنعم عليه في الدنيا ، تكرم عليهم بنعمته في الآخرة، أما الكافر فإنه سؤال توبيخ وتنبيه " انتهى ، باختصار من "لقاء الباب المفتوح" (98/ 9) .

راجع لمعرفة المزيد إجابة السؤال رقم (52887) ، (138650)

والله أعلم .